

ابن فضلان

في دوائر المعارف والموسوعات

• هيئة التحرير

على الرغم من ضآلة المعلومات المتوافرة عن حياة ابن فضلان، وإحجام مؤلفي المصادر العربية القديمة عن ترجمته وإيراد آية بيانات يمكن أن تضيء للباحثين أبرز محطاتها، إلا أن الموسوعات ودوائر المعارف العربية والأجنبية الحديثة احتفت به، وتناولته في مواد منفردة كتبها متخصصون، معتمدين على ما دونه هو في رحلته غير المسبوقة إلى ذلك الصقع النائي في أقصى شمال العالم آنذاك، وعلى ما نقله عنه ياقوت الحموي في «معجم البلدان»، وعلى خزين هائل من أبحاث ودراسات مفصلة بأقلام مستشرقين ومستعربين أثار إعجابهم ما تضمنته مدونته الرحلية من معلومات استثنائية في قيمتها، عن التاريخ المبكر وغير المكتوب للشعوب الآسيوية والأوربية التي مرّ بها.

ولأجل أن يستوفي هذا العدد الخاصُ أصداء تلقى هذا الرحالة البغدادي في العصر الحديث، تضع (المورد) في الصفحات الآتية، النصوص الكاملة لما أورده أبرز دوائر المعارف والموسوعات العربية والأجنبية عنه، وهي في أدناه مرتبة بحسب الحروف الأبجدية:

- 1- «الأعلام»، لخير الدين الزركلي.
- 2- «إنسكلوبيديا الإسلام»، لمجموعة مؤلفين.
- 3- «دائرة المعارف»، لبطرس البستاني.
- 4- «دائرة المعارف الإسلامية الكبرى»، لمجموعة مؤلفين.
- 5- «معجم المؤلفين»، لعمر رضا كحالة.
- 6- الموسوعة العربية الميسرة». لمجموعة مؤلفين.

أفردت هذه المراجع لابن فضلان ورحلته مساحات متباينة، بحسب ما اختط لها مؤلفوها والمساهمون فيها من اقتضاب أو توسع في عرض المواد، ففي «إنسكلوبيديا الإسلام» و«دائرة المعارف الإسلامية الكبرى» جاءت المادة عنه وافرة وغنيّة ومكتنزة بالمعلومات، لكنها جاءت مقتضبة وشحيحة في «معجم المؤلفين»، و«الموسوعة العربية الميسرة»، فلم تزد على بضعة أسطر، وبين هذا وذاك جاء ما أورده عنه الزركلي والبستاني في موسوعتيهما. ونشير هنا إلى أن هذا المبحث من المجلة، انفرد بنشر ترجمة (مادة ابن فضلان) عن النسخة الإنكليزية من «إنسكلوبيديا الإسلام»، بقلم رئيس تحرير (المورد) الدكتور يوسف إسكندر، وهي مادة لم تسبق ترجمتها للغة العربية من قبل.

مدير التحرير

1. «الأعلام»، لخير الدين الزركلي⁽¹⁾

ابن فضلان (-000 بعد 310 هـ = 000 - بعد 922 م):

أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد ابن حمّاد: صاحب الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة، المعروفة بـ (رسالة ابن فضلان - ط) مبتورة الآخر. كان في أوليته من موالي محمّد بن سليمان الحنفيّ (القائد، فاتح مصر) ثمّ أصبح من موالي المقتدر العبّاسي. وأوفده المقتدر إلى ملك الصقالبة (على أطراف نهر الفولغا) مع جمع من القادة والجند والتّراجمه، إجابة لطلب بلغار الفولغا، وقد بعثوا برسول منهم إلى عاصمة الخلافة يرجون العون على مقاومة ضغط الخزر عليهم من الجنوب، وأن ينفذ إليهم من يفقههم في الدين ويعرفهم بشعائر الإسلام. وكانوا قد اعتنقوه قبل عهد غير بعيد. وقامت البعثة من بغداد (في 11 صفر 309 هـ، 21 يونيو 921 م) مارّةً بهمدان والرّي ونيسابور ومرو وبخارى، ثمّ مع نهر جيحون إلى خوارزم إلى بلغار الفولغا في 18 محرّم 310 هـ (12 مايو 922 م) ولم يُعرف خطّ سير الرجعة لضياع القسم الأخير من الرّسالة. - انظر: رسالة ابن فضلان، طبعة المجمع العلميّ العربيّ بدمشق، ومقدّمة محقق نشرها الدكتور سامي الدّهان. وقرأ كلمة كراتشكوفسكي في كتابه تاريخ الأدب الجغرافيّ العربيّ: القسم الأوّل الصّفحة 186 - 187 وبحثاً كتبه ب. زاهودير، في نشرة الأنباء ال سوفيّاتيّة بالقاهرة العدد 12 في 26 مارس 1957 وكلمة عن ابن فضلان في دائرة المعارف ببيروت 3: 432 وكلمة عنه في هدية العارفين 1: 57 تقول: (له كتاب الجغرافيا مطبوع)؟

2. «إنسكلوبيديا الإسلام»⁽²⁾.

ابن فضلان: ترافيس زاده
ترجمة: يوسف إسكندر

كتب أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حمّاد، المشهور بابن فضلان، رحلةً يحكي فيها تجربته الشخصية ممثلاً للخليفة العبّاسيّ المقتدر (-295 320 هـ / -908 932 م) بسفارة مبعثة إلى ملك البلغار التركيّ، الذي يسمّى أيضاً بملك الصقالبة، وقد غادر بغداد في 12 من صفر لعام 309 / 22 من حزيران لعام 921.

1- حياته

بعيداً عمّا يمكن اكتشافه من رحلته، لا يظهر شيء عن حياة ابن فضلان يمكن أن يبيّن على نحو اليقين أصله، أو إثنيته، أو تعليمه، أو تأريخ ولادته أو وفاته. ويُرجع إلى السرد بصيغة المتكلم على نحو مختلف على أنه رسالة، وكتاب، وحتى قصّة، ولكن لا على أنه رحلة (المصطلح ما بعد الكلاسيكيّ لجنس الرحلة)؛ فهو يأتي فقط في مقطوعات. وهذا يترك أسئلة عدة معلّقة، من ضمنها مدّة السفارة ومصيرها الأخير، التي بلغت عاصمة اتحاد البلغار في ملتقى نهري الفولغا والكاما، شمال سهوب قزوين، في 12 من محرّم لسنة 310 (12 ميس لسنة 922). فوفقاً إلى بداية الحكاية كان ابن فضلان في وقت ما مولّى لقائد جيش الخلافة القويّ محمّد بن سليمان (ت. 304 / 917)، الذي كان مسؤولاً عن إدارة الأموال في الرّي عند وفاته. وهذا ما يساعد في تحديد هويّة أحمد بن فضلان الرازيّ

(2) (Zadeh, Travis, "Ibn Faḍlān", in: Encyclopaedia of Islam, THREE, Edited by: Kate Fleet, Gudrun Krämer, Denis Matringe, John Nawas, Everett Rowson. Consulted online on 20 May 2021.

(1) "الأعلام"، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002: 195-196/1.

المجهولة من ناحية أخرى، الذي أشار إليه ابن خميس (ت. 552 / 1157) بوصفه أحد معارف الصوفي إبراهيم الخواص (ت. 291 / 904) في الري؛ وقد ورث أحمد بن فضلان هذا ثروة طائلة عن أبيه، وزعها للتقوى صدقةً وفي السعي للعلم الديني. إن الارتباط المحتمل بإبراهيم الخواص، زعيم التطور المبكر للتصوف في العراق، قد يضيف بعداً صوفياً للنشاط التبشيري لابن فضلان بين بلغار نهر الفولغا، النشاط الذي تفتقده حكايته من جهة أخرى. فقد كانت هداية ملك البلغار ورعاياه الأتراك واحدة من الأهداف الرئيسية المعلنة لبعثة الخليفة. وعلى نحو ملحوظ كانت عملية التبشير (بمرجئة مبكرة وتغلغل حنفي) سابقاً تجري على قدم وساق مع الاتصالات التجارية والدبلوماسية المبكرة مع مختلف القبائل التركية على السهوب الأوراسية، التي غالباً ما تتجسد بتقوى زهدية وجهادية (Madelung, Spread of Matridism and Early Murjia).

2. دوافع الرحلة

الحماية والهداية والقتال كل ذلك ما دفع ملك البلغار الحسن (المش) بن شلكي يلباتور (بتنويغات أخرى موثقة) للالتماس من الخليفة المقتدر لإرسال السفارة العباسية إليه بعد إعلانه الهداية للإسلام. وقد لاحظ الجغرافي الفارسي ابن رسته (300 / 912)، بأولوية تاريخية واضحة، أن المش وكثيراً من رعاياه البلغار قد اعتنقوا الإسلام فعلاً؛ فكان لديهم أئمة ومؤذنون ومساجد ومدارس قرآنية (ابن رسته، 141) وربما حصل ابن رسته على معلوماته من السلطات السامانية التي عاصرها تقريباً، فقد كانت لها اتصالات تجارية مستقلة في المنطقة (Montgomery, Ibn Rusta's lack of "eloquence," 87-8). وقد تجنبت بعثة البلغار الدبلوماسية إلى البلاط

العباسي السامانيين تماماً. وقامت بالالتماس إلى بغداد عن طريق عبد الله بن بشتو وهو من أصل خزري وقد آمن بالإسلام، كما أن نذيرا الخصي مسؤول الحريم وحسن العلاقات، الذي قد يكون من نسل العبيد الأتراك، هو من تولى قراءة رسالة الملك.

طلب الملك من الخليفة، في التبادل الدبلوماسي، مساعدته في تعليم الدين، ومراقبة الشعائر الإسلامية والشرائع الفقهية، وإقامة مسجد ومنبر لذكر اسم الخليفة في جميع أنحاء مملكته، وبناء حصن للحماية من الممالك المجاورة التي كانت تهدد دولة البلغار، ومن بينها على وجه الخصوص مملكة الخزر اليهودية. كما كتب الملك مباشرة إلى نذير يطلب منه بعض الأدوية التي قد تتوافق مع الطب (غالباً عطر أو مادة عطرية أخرى) وقد قدمها مع هدايا أخرى ابن فضلان عند وصوله إلى بلاط البلغار (James E. Montgomery, Mission to the Volga, 261 n.5, 263 n.34). وقد اختير سوسن الرسي، أحد أتباع نذير، لقيادة الحملة، واختير ابن فضلان - الذي أشار إليه الجغرافي ياقوت (ت. 1229 / 626) عموماً رسولاً للمقتدر، ومرة واحدة مولى له، ومن الواضح أنه مكلف، مع تغيير الدور نوعاً ما، بمسؤولية تدريس التعاليم الدينية، وتقديم الهدايا إلى الملك وأعيان البلغار الآخرين، وقراءة الرسائل الدبلوماسية المعدة للرحلة. وكان قد ذُكر من بين الرسائل المقدمة إلى ملك البلغار بلاغات من الخليفة، ووزيره حامد بن العباس (ت. 923 / 311)، وبعث نذير أيضاً رسالة وهدايا إلى أتراك بن القطغان، وهو زعيم عسكري وثني لاتحاد الخوزية للبدو الرحل الأتراك، والذي كان له ارتباط بملك البلغار عن طريق المصاهرة. والتمس نذير برسالته من أترك اعتناق الإسلام وأن لا يعيق الخوز الأتراك السفارة أثناء تنقلها عبر أراضيهم شمال خوارزم. وحمل ابن فضلان رسائل الخليفة

شهادة على التقاء النشاط التبشيري والمصالح التجارية وتأكيد شرعية الخلافة (Mission, 178). واقتراح آخرون نظرياتٍ أكثر تفصيلاً فيما يتعلق بالديناميات السياسية والاقتصادية الخاصة التي تنطوي عليها رسالة ابن فضلان، غير أنَّ الأدلة النصية للرواية تترك مسألة دوافع جميع الأطراف المعنية مشوشة إلى حدٍّ كبير.

3. جمهورُ الرسالة وتقبُّلها

لم تكن مسألة الجمهور الأصلي للرسالة واضحةً بأيِّ حال من الأحوال (Maria Kowalska). فعلى وفق ياقوت (1:88)، الذي كان أحد الشهود على نصِّ الرحلة الأساسيين، كانت قصة ابن فضلان معروفة جيداً، إذ كانت محفوظةً على نحوٍ مدوّن في نسخٍ عدة، ولكن اقتباسات ياقوت الكثيرة في معجم البلدان (1:87)، مادة إتل؛ و1:322، مادة بوشغارد؛ و1:486، مادة بلغار؛ و2:367، مادة خزر؛ و2:397، مادة خوارزم؛ و3:79، مادة روس) نفعت مدة طويلة بوصفها أساساً أولياً للتقبُّل التاريخي للحكاية. (- see Qazwini; Ras; mussen; Fraehn; Ramzi). وبصرف النظر عن ياقوت والمقاطع الفارسية المقتضبة في كتاب الطوسي (1160/555) عجائب نامه: (-414 5، حكاية ماجوج؛ 570، وصف الكركدن) وفي كتاب أمين الرازي (1594/1002): هفت اقليم (3:314 خوارزم؛ و3:495-8 الروس والخزر، مع أنه لم يستشهد بابن فضلان مصدراً له)، ويبدو أن الحكاية قد بقيت في شاهد نصيٍّ وحيد آخر فقط، وهو مجموع عربي مودع في مكتبة آستانى قدس في مُجمَع الحرم الرضويّ في مشهد (MS 5229)، من الورقة 196ب إلى الورقة 212ب). فضلاً عن رسالة ابن فضلان يحتوي هذا المجموع على نسخة كاملة من (كتاب البلدان) لابن الفقيه (289/902)، ورسالتين جغرافيتين

لنصر الثاني بن أحمد (حكم من 301 إلى 31 / 914-43) الحاكم الشاب للسلالة السامانية في خراسان وبلاد ما وراء النهر، الذي اعترف اسمياً بالسيادة العباسية، وبواليهم على خوارزم محمد بن عراق. وتوحي محاورات ابن فضلان معهما كليهما بمقاومة السامانيين لسفارة الخليفة. فقد قدّم مستشار السامانيين القويّ (الكاتب) أبو عبد الله الجيهاني (ت. 313/925) ابن فضلان إلى الأمير. غير أنَّ درجة إعاقة الجيهانيّ، مؤلف كتاب (المسالك في معرفة الممالك) المفقود، أو تسهيله لأمر الرحلة تبقى موضع ظنٍّ وتكهن. (عن الجيهاني انظر: Treadwell, 318-9).

وإلى جانب هذه الأقوال والأعمال الصريحة، كانت الأسباب الكامنة وراء التماس ملك البلغار وقرار المقتدر بتوجيه رحلة لمساعدة بلغار نهر الفولغا مصدر تكهنات مستمرة. فابن فضلان لم يقدّم دليلاً مباشراً على أيٍّ منهما، على الرغم من أن رسالته تشير إلى الظروف الاقتصادية والسياسية والدينية الأوسع التي شكلت المغامرة. وتشمل هذه تجارة الفراء والعبيد المربحة التي تدفقت إلى بغداد والقطع النقدية الفضية والذهبية التي عادت إلى التجار الأتراك والإفرنجية في الشمال؛ وكذلك تأكيد السلطة العباسية في مواجهة التهديدات الملحة لشرعية الخلافة، لا سيما في شكل الطائفة الزيدية والقرمطية؛ والتحدي الذي يمثله الحكم الذاتي الإقليمي للسامانيين، الذين كانت لهم علاقات مستقلة مع القبائل التركية في السهوب العالية؛ وحصن دولة الخزر في القوقاز، التي غالباً ما تكون جارة منافسة لكل من العباسيين وبلغار نهر الفولغا (الذين كانوا، في هذه المرحلة، لا يزالون تابعين لدولة الخزر)؛ والجمع الإمبراطوريّ للمعلومات الجغرافية وتدوينها، لا سيما فيما يتعلق بالشعوب التركية وغيرها من شعوب الشمال. ويذهب مونتغمري إلى أن الرسالة

هدفها المعلن المتمثل في إيصال التمويل اللازم لإنجاز المشروعات الموعودة لملك البلغار. كان من المقرر أن تجبى الأموال، كما نصّ نذير، من العقارات المصادرة في بلدة أرثُشميثن الخوارزمية، وكان قد اقتطعها سابقاً ابن الفرات (ت. 312/924)، وهو ممولٌ ووزيرٌ قويٌّ، وقد سخط عليه الخليفة، فسجنه إبَّان البعثة. ويلاحظ ابن فضلان أن السفارة تعرّضت مراراً للإحباط في جهودها للحصول على هذه الأصول، التي كان من المقرر أن يؤمنها أحمد بن موسى الخوارزمي، الذي يُزعم أنه غادر بغداد بعد مدةٍ وجيزة من السفارة. وقد علم وكيل ابن الفرات المسؤول عن التركة بالخطّة ونجح - متواطئاً مع البيروقراطية السامانية، على جميع الأنحاء - في سجن عامل الخليفة في مرو قبل أن يتمكن من بلوغ خوارزم. ولمواجهة احتمال حلول الشتاء في بخارى، قررت السفارة، على الرغم من اعتراضات ابن فضلان المتكررة، المخي قدماً، على أمل أن تصل تلك الأموال في نهاية المطاف. ولم تصل الأموال، ممّا أدّى إلى سلسلة من

للكاتب أبي دُلف (341 / 952). (وأول من لاحظ قيمة المخطوطة المستقلة، وإن كانت جزءاً من مجموع، لرسالة ابن فضلان، في عام 1923، هو العالم البشكيرّي أحمد زكي وليدي طوغان، الذي أرسل للنشر، في 1939، نسخة عربية وترجمتها الألمانية مع شرح مفصّل. وعلى نحو مستقل، نشر أندريه بيتروفيتش كوفاليفسكي في السنة نفسها ترجمة روسيّة، مع تعليق، وصورة مطابقة لقطعة مشهد. شكّل هذان المنشوران، الغنيان بالتفاصيل اللغوية والاجتماعية والتاريخية، أساساً أولياً للدراسة الحديثة لمغامرة ابن فضلان. وقبل كل شيء، كانت الرسالة قد أُؤيِّدَت لقيمتها الجغرافية والأنثروبولوجية والتاريخية، مع ميلها إلى الأعاجيب والتهويل.

خريطة رحلة ابن فضلان

تمتاز رواية ابن فضلان عن العادات والظواهر الغربية للبلدان الشمالية بموضوع بارز آخر، هو دفاعه عن السفارة التي فشلت تماماً في تحقيق



خريطة رحلة ابن فضلان

على التبشير ونشر المذهب الشافعي؛ والأهم من ذلك، ملاحظاته عن العجائب، سواء أكانت طبيعية أم إثنوغرافية، التي شاهدها مباشرة أو عَلِمَ بها من مخبريه الكُثَّار. وحملت السفارة معها أدلاءً ومترجمين عملوا بشكل بارز وسطاء طوال المغامرة. وقُدِّمَت في الرسالة رواياتٌ حيَّةٌ عن شعوب تركية مختلفة، بما في ذلك الخوز، والبَجَنَّاك، والبوشغارد، والبلغار، والخزر (الذين لم يلتق بهم شخصياً).

وتضمَّنت رسالته أيضاً تقريراً قيماً عن تجربته مع تجار روس قابلهم عند نهر الفولغا. كانت هوية هذه المجموعة موضع اهتمام العلماء المستمر، ممَّا أدَّى إلى جدلٍ نورمانيٍّ، فمع تركيزهم على الإثنية الروسية والاسكندنافية الحديثة، غير أنهم شككوا في مدى الأثر الفرنجي في نشوء دولة للروس المتمركزة في كييف وتطورها (Montgomery, Ibn Fadlan and the Rusiyyah, 1-5). ومثل كثيرٍ ممَّا في الرسالة، ارتبط وصف ابن فضلان التخطيطيُّ للطقوس الجنائزية التي شهدتها أثناء مراسم التضحية بزعيم روسي متوفى بنثر جامد يعبر عن حكم صريح يتمثَّل بواقعية مروعة تتحدث عن نفسها بالإثارة والرفض. وقد اتهم ياقوت ابن فضلان مراراً وتكراراً بعدم الدقة، لا سيما في تعامله مع خوارزم، التي كان ياقوت قد زارها بنفسه. ويقتبس ياقوت حكاية ابن فضلان عن الروس بما في ذلك هذا المشهد الجنائزي للسكرك والجماع والتضحية - كاملةً، إعجاباً بها؛ وكذلك مع كثيرٍ من أمثال هذه الحكايات، غير أنه يعفي نفسه من أيِّ مسؤوليَّة عن دقَّتِها، ومع ذلك، يذكر أن الروس في أيامه كانوا قد دانوا بالمسيحية.

ويضيف الاتصال الشامل بالشخصيات السياسية والجماعات العرقية عبر البيئات السياسية والاجتماعية والدينية في أوائل القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي على رسالة ابن

التوتُّرات المتبادلة بين ابن فضلان وملك البلغار، الذي طالب مراراً وتكراراً بدفع ما وَعَدَ به في رسالة الخليفة واتهم السفارة بإخفاء الأموال التي كانت مخصصة. وقد صَوَّرَ ابن فضلان نفسه وسيطاً مخلصاً، وأنه لم يقصِّر في تنفيذ مهمة الخليفة وإن لم يكن الأمر في استطاعته. وتشير أهمية دفاعه في الحكاية إلى حاشية إدارية تطالب بحساب نهائي لتعاملات السفارة. في ضوء ذلك، فمن الواضح أن رسالة ابن فضلان، أو تنقيحها، صُمِّمَت، بطريقة ما، لتكون تقريراً رسمياً (وتبرئةً)، ربما تداولته إدارة العباسيين و/أو السامانيين. وسرعان ما دُمِجَت في متن المعرفة الجغرافية العربية. ولهذا التقاطع مع بيروقراطية الدولة أوجه شبه مذهلة مع رحلات سابقة، مثل السفارة التي أرسلها الوزير البرمكي يحيى بن خالد إلى الهند (ت. 190/805)؛ والرحلة إلى الأتراك الإيغور التي شرع بها تميم بن بحر المطوعي (206 / 821-2)؛ والتقرير عن بيزنطة للأسير المحرر مسلم بن أبي مسلم الجرمي (231 / 845-6)؛ وأشهرها مهمة الخليفة إلى سور يأجوج ومأجوج التي قادها سَلَامُ التَرْجُمَان (232 / 847).

4 - المحتوى والوقائع

إن النطاق الشامل للملاحظات التفصيلية، المستندة، إلى حدٍّ كبيرٍ، إلى تجارب شهود العيان، يميز رسالة ابن فضلان عن هذه التقارير السابقة. ويتميِّز أسلوب الرسالة، في بعض الأحيان، من خلال انقطاعات وتفكُّك وثغرات واضحة، تشير إلى تنقيح لاحق، حفظته قطعة مخطوطة مشهد العربية، بخط ملون، وإن كان غير مشكول أحياناً. فيمكن تمييز عدة طبقات تأليفية، من بينها رسالة ابن فضلان التي توثق الرحلة إلى البلغار. وتوضيحه للأموال المفقودة؛ وتقريره عن شتَّى الداوات النقدية والتجارية وطرق النقل؛ وتأكيد

رسالة ابن فضلان في مخطوطة مشهد)،
republished as *Kniga Akhmeda ibn-
Fadlana o ego puteshestvii na Volgu*
921–922, Kharkiv 1956.

- رسالة ابن فضلان، تحقيق: سامي الدّهان،
دمشق، 1959.

- Franciszek Kmietowicz, Anna Kmi-
etowicz, and Tadeuz Lewicki, *Zródła
arabskie do dziejów sTowianłszczyzny*,
vol. 3, *Ibn Fadłan, Kitāb*, Wrocław
1956–88

(الترجمة البولندية وشرحها)
- مجموع في الجغرافيا ممّا ألفه ابن الفقيه وابن
فضلان وأبو دُلف الخزرجي، حرره مازن عماوي
وآخرون، فرانكفورت، 1994 (صورة مطابقة
لمخطوطة مشهد الكاملة).

-رسالة ابن فضلان إلى بلاد الترك والروس
والصقالبة، 921، حققها شاكر لعبيبي، أبو ظبي
وبيروت 2003.

-James E. Montgomery, *Mission to
the Volga*, in Philip F. Kennedy and
Shawkat M. Toorawa (eds.), *Two Arabic
travel books* (New York 2014), 163–
298 .

(مع ترجمة إنجليزية مقابلة وملاحظات)
-مواد إضافية على الموقع:

www.libraryofarabicliterature.org
-Notes and corrections to the edi-
tions and translations of Togan and
Kovalevskiĭā.

-Hellmut Ritter, *Zum Text von Ibn
Fadlān Reisebericht*, ZDMG 96/1
(1942), 98–126.

- Richard N. Frye and Robert P. Blake,

فضلان جاذبيتها التاريخية. فهذا الهدفُ الأساسيُّ
من سرد الخبر بوصفه نوعاً ذا شكلٍ خاص، وهو
مصمّمٌ لنقل الحقائق بالكلام المباشر والحوار
والتفاصيل المرئية (Stefan Leder). كما أن
التزام ابن فضلان بالأمانة إزاء الغرابة المدهشة
جعل من الرسالة مصدر إلهام أدبي حديث، بدءاً
بالحكاية الخيالية لسفارة الخليفة إلى الشمال
من شعوب القوقاز -Des peuples du Cau-
case (1828) لقسطنطين مراديا دوهسون (ت.
1851)، حتّى إعادة كتابة المغامرة في الرواية
الأكثر مبيعاً أكلة الموتى *Eaters of the dead*
(1976)) لميكيل كرايتون (ت. 2008). بما يليقُ
بعمل ركّز على مهمة الوسيط، كانت حكاية ابن
فضلان قد قدّمتْ، على مدى القرنين الماضيين، إلى
كثيرٍ من اللغات، بترجمةٍ كاملةٍ أو جزئيةٍ.

ببليوغرافيا

الطبقات العربية وترجماتها

- Christian Fraehn, *Ibn-Fozlan's und
anderer Araber Berichte über die Rus-
sen älterer Zeit*, St. Petersburg 1823
(طبعة عربيّة لمقاطع مناسبة من ياقوت، مع
ترجمة ألمانية وملاحظات ملحقة).

-*Rerum normannicarum fontes Arabici*,
ed. Alexander Seippel (Oslo 1896),
89–97; Ahmed Zeki Velidi Togan, *Ibn
Fadlan's Reisebericht* (Leipzig 1939),
رحلة ابن فضلان مع ترجمة ألمانية وملاحظات
وشرح.

-Andreĭ Petrovich Kovalevskiĭĭ,
Puteshestvie Ibn-Fadlana na Volgu,
921–922 gg., Moscow and Leningrad
1939

(الترجمة الروسية وشرحها، مع نسخة مصوّرة)

1995; Albert S. Cook, Ibn Fadlân's account of Scandinavian merchants on the Volga in 922, *Journal of English and Germanic Philology* 22/1 (1923), 54–63 (trans. from Wüstenfeld's edition of Yāqūt, *Mu'jam al-buldān al-buldān*= Jacut's geographisches Wörterbuch, 6 vols., Leipzig, 1866–73).

-Martin Joachim Fraehn, De Chasaris and De Baschkiris, *Commentarii Academiae scientiarum imperialis Petropolitanae* 24 (1821), 577–611, 621–8 (بالعربية محررة من حكايات الخزر والباشغارد مقتبسة من ياقوت، مع ترجمة لاتينية وملاحظات).

-Richard N. Frye, *Ibn Fadlan's journey to Russia. A tenth-century traveler from Baghdad to the Volga River*, Princeton 2005.

-Christoph Andreas Holmboe, *Ibn-Fozlân, om Nordiske begravelseskikke, fra det Arabiske oversat og med Anmærkninger oplyst, Forhandlinger i Videnskabs-selskabet i Christiania* (1869), 270–80, trans., Joseph Anderson, *Description by Ahmed Ibn-Fozlan (an eye-witness) of the ceremonies attending the incineration of the dead body of a Norse chief*, *Society of Antiquaries of Scotland. Proceedings* 9/2 (1873), 518–31; Paul Lunde and Caroline Stone, *Ibn Fadlan and the Land of Darkness. Arab travelers in the far north*, London 2012.

-James E. McKeithen, *The Risālah of*

Notes on the Risala of Ibn-Fadlan, Byzantina Metabyzantina ½ (1949): 7–37 (تتضمن الترجمة الإنجليزية للمادة الموجودة في مخطوطة مشهد فقط).

-Douglas Morton Dunlop, *Zeki Validi's Ibn Fadlân*, *WO* 1/4 (1950), 307–12.

-Károly Czeglédy, *Zur meschheder Handschrift von Ibn Fadlân's reisebericht*, *AO* 1/2–3 (1951), 217–60 (مع نسخة مصورة للورقات ذات الصلة من مخطوطة مشهد).

-George L. Bata, *Comments on a contribution to the translation of Ibn Fadlân*, *Folia Orientalia* 32 (1995), 7–14.

الترجمات الكاملة والجزئية الأخرى

-Faruk Abu-Chacra and Jorma Salm-inen, *Viikingit arabin silmin. "Ibn Fadlan" vuodelta 922 / Vikingarna i en arabs ögon. "Ibn Fadlan" från år 922 / Vikings through Arab eyes. "Ibn Fadlan" A.D. 922*, Helsinki 2004 (بالعربية، والفنلندية، والسويدية، والإنجليزية)

-Harris Birkeland, *Nordens historie i middelalderen etter arabiske kilder* (Oslo 1954), 17–24.

-Marius Canard, *La relation du voyage d'Ibn Fadlân chez les Bulgares de la Volga*, *Annales de l'Institut d'Études Orientales* 16 (1958), 41–146 (مع ملاحظات وشرح)

-Paule Charles-Dominique, *Voyageurs arabes. Ibn Fadlân, Ibn Jubayr, Ibn Baṭṭûta et un auteur anonyme*, Paris

2: 560.

- ابن رسته: كتاب الأعلاق النفيسة، المجلد السابع
من المكتبة الجغرافية العربية - Bibliotheca ge-
M. J. de :ographorum arabicorum
Goeje، ليدن، 1882.

- زكرياء بن محمّد القزويني: آثار البلاد في أخبار
العباد (بيروت 1960)، 525، 586، 609 - 10،
515.

- محمّد مُراد الرمزي: تليق الأخبار وتلقيح
الآثار في وقائع قَزَان وبلغار وملوك التتار (بيروت
2002) 1: 201، 239-41، 255، 278-9،
293-4، 296، 330؛ 2: 108-13.

- أمين أحمد الرازي: هفت اقليم، ت. جواد فاضل،
3 أجزاء، طهران 1960.

- محمّد بن محمود الطوسي: عجائب المخلوقات
وغرائب الموجودات، ت. منوچهر ستوده، طهران
1966.

- ياقوت الرومي: معجم البلدان، 5 أجزاء، بيروت
1955-7.

مراجع ثانوية

- Clifford Edmund Bosworth, Aḥmad b.
Faḏlān, EI2; Marius Canard, Ibn Faḏlān,
EI2; Michael Crichton, Eaters of the
dead. The manuscript of Ibn Fadlan re-
lating his experiences with the North-
men in A.D. 922, New York 1976.

- Devin DeWeese, Islamization and
native religion in the golden horde.
Baba Tükles and conversion to Islam in
historical and epic tradition (University
Park PA 1994), 74-8.

- Douglas Morton Dunlop, The history
of the Jewish Khazars, Princeton 1954.

- Peter Golden, Khazar studies. An

Ibn Faḏlān. An annotated translation
with introduction, Ph.D. diss., Indiana
University 1979.

- Jens Lassen Rasmussen, Om Arab-
ernes og Persernes Handel og Beki-
endtskab med Rusland og Skandinavien
i Middelalderen, Copenhagen

1814 (حكاية الروس مترجمةً إلى الدنماركيّة من
ياقوت، -58 70)

trans., An historical and geographical
essay on the trade and communication
of the Arabians and Persians with Rus-
sia and Scandinavia, during the Middle
Ages, Blackwood's Edinburgh Magazine
4 (1818-9), 135-41, 292-300, 460-
70, esp. 460-4.

- Ramazan Şeşen, tbn Fazlan seyahat-
nâmesi tercümesi, Istanbul

1975 (ترجمة تركيّة وملاحظات، مع ترجمات
للمروزي وأبي دُلف عن الترك)

- Jørgen Bæk Simonsen, Vikingerne ved
Volga. Ibn Faḏlāns rejsebeskrivelse,
Højbjerg 1981

(ترجمة دنماركيّة وملاحظات وفصل عن الروس).
- أبو الفضل الطباطبائي، سفرنامه از احمد بن
فضلان بن العباس بن راشد بن حمّاد، طهران
1966 (ترجمة فارسية وشرحها)

- Stig Wikander, Araber, vikingar,
våringar (Lund 1978), 31-72.

- Hikoichi Yajima, Ibun Fadorān no
Voruga Burugāru ryokōki, Tokyo 1969

(مع ملاحظات وشرح)

المصادر العربيّة والفارسيّة

- ابن خميس الموصلي: مناقب الأبرار ومحاسن
الأخيار، ت. محمد أديب الجادر (أبو ظبي 2006)،

- Aliev Saleh Mehmedoğlu, Ibn Fadlân, TDVIA 19 (1999), 477–9.
- André Miquel, La géographie humaine du monde musulman jusqu'au milieu du 11^e siècle. Géographie et géographie humaine dans la littérature arabe (des origines à 1050) (Paris and The Hague 1967–88), 1:132–9; 2:227–9, 336–42, and *passim*.
- James E. Montgomery, Ibn Faḍlân and the Rûiyyah, JAIS 3/1 (2000), 1–25.
- James E. Montgomery, Ibn Rusta's lack of "eloquence," the Rûs, and Samanid cosmography, Edebiyât. A Journal of Middle Eastern Literatures 12/1 (2001), 73–93.
- James E. Montgomery, Pyrrhic skepticism and the conquest of disorder. Prolegomenon to the study of Ibn Fadlân, in Miklós Maróth (ed.), Problems in Arabic literature (Piliscsaba 2004), 43–89;
- James E. Montgomery, Travelling autopsies. Ibn Faḍlân and the Bulghâr, Middle Eastern Literatures 7/1 (2004), 3–32.
- James E. Montgomery, Spectral armies, snakes, and a giant from Gog and Magog. Ibn Fadlân as eyewitness among the Volga Bulghârs, The Medieval History Journal 9/1 (2006), 63–87.
- Teresa Nagrodzka-Majchrzyk, Les Oghouz dans la relation d'Ahmad ibn historico-philological inquiry into the origins of the Khazars, 2 vols., Budapest 1980;
- Peter Golden, The question of the Rus' qaġanate, Archivum Eurasiae Medii Aevi 2 (1982), 76–97.
- Peter Golden, The peoples of the Russian forest belt, in Denis Sinor (ed.), The Cambridge history of early Inner Asia (Cambridge 1990), 229–55.
- Peter Golden, An introduction to the history of the Turkic peoples. Ethnogenesis and state formation in medieval and early modern Eurasia and the Middle East, Wiesbaden 1992.
- Stefan Leder, The use of composite form in the making of the Islamic historical tradition, in Philip F. Kennedy (ed.), On fiction and adab in medieval Arabic literature (Wiesbaden 2005), 125–48.
- Maria Kowalska, Ibn Fadlan's account of his journey to the state of the Bulgars, Folia Orientalia 14 (1972–3), 219–30.
- Wilferd Madelung, The spread of Māturīdism and the Turks, in Actas do IV Congresso de Estudos Árabes e Islâmicos, Coimbra-Lisboa 1968 (Leiden 1971), 109–68.
- Wilferd Madelung, The early Murji'a in Khurāsān and Transoxania and the spread of Ḥanafīsm, Der Islam 59/1 (1982), 32–9.

Bessinger and Robert P. Creed (eds.), *Franciplegius. Medieval and linguistic studies in honor of Francis Peabody Magoun, Jr.* (New York 1965), 92–119.
 - Luke Treadwell, *The political history of the Sāmānid state*, Ph.D. diss., University of Oxford 1991;
 - Travis Zadeh, *Mapping frontiers across medieval Islam. Geography, translation, and the 'Abbasid empire* (London 2011), 38–9, 144–5, 186–7, 252 n. 21, pl. 14.
 - Travis Zadeh, *The vernacular Qur'an. Translation and the rise of Persian exegesis* (Oxford 2012), 256–9.
 - Ananiasz Zajackowski, *Deux nouveaux travaux Russes sur Ibn Fadlan*, *Przegląd Orientalistyczny* 22 (1957), 203–27.

3. «دائرة المعارف» لبطرس البستاني⁽³⁾.

ابن فضلان

Ibn Fadlân

أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حمّاد. مولى الخليفة، ثم محمد بن سليمان، فاتح مصر. فقيه، مؤرخ. من أهل بغداد في أواخر القرن الثالث الهجري وأوائل الرابع. أنفذه الخليفة المقتدر بالله العباسي، سنة 309 هـ. (921) مع الوفد الذي سار برئاسة سوش الرّسبيّ، مولى نذير الحرمي إلى ملك الصقالبة، وهم أهل بلغار الذين ينزلون على ضفتي الفولغا. فترك الوفد بغداد في

(3) «دائرة المعارف، وهو قاموس عام لكلّ فنّ ومطلب» بطرس البستاني، بيروت، ط 1، 3/3: 432.

Fadlân, *RO* 49/2 (1995), 165–9.
 - Thomas S. Noonan, *Some observations on the economy of the Khazar khaganate*, in Haggai Ben-Shammai, Peter B. Golden, and András Róna-Tas (eds.), *The world of the Khazars* (Leiden 2007), 207–44.
 - Thomas S. Noonan, *Fluctuations in Islamic trade with eastern Europe during the Viking Age*, *Ukrainian Studies* 16/3–4 (1992), 237–59.
 - Thomas S. Noonan, *Why dirhams first reached Russia. The role of Arab-Khazar relations in the development of the earliest Islamic trade with eastern Europe*, *Archivum Eurasiae Medii Aevi* 4 (1984), 151–282.
 - Constantin d'Ohsson, *Des peuples du caucase et des pays au nord de la mer Noire et de la mer Caspienne, dans le dixième siècle, ou Voyage d'Abou-el Cassim*, Paris 1828.
 - Omeljan Pritsak, *The origin of Rus*, *The Russian Review* 36/2 (1977), 249–73.
 - عناية الله رضا، ابن فضلان، دائرة المعارف بزرگ اسلامی، 4، (1370 شمسی / -1991)، 399-405.
 - M. A. Shaban, *Islamic history. A new interpretation* (Cambridge 1971–6), 2:148–51.
 - H. M. Smyser, *Ibn Fadlân's account of the Rūs with some commentary and some allusions to Beowulf*, in Jess B.

11 صفر 309 هـ. (21 حزيران 921). فمرَّ ببخارى، ثمَّ بخوارزم. ودخل عاصمة البلغار في 12 محرم 310 هـ. (12 ايار 922). ولكننا لا ندري بأية طريق كان رجوعه إلى بغداد. وقد دوّن ابن فضلان كلّ ما شاهده منذ تركه بغداد في رسالة أسهب فيها بوصف مملكة الصقالبة وعاداتهم. فكان فيها معلومات ظهرت من أقدم ما دوّن عن تلك البلاد باللغة العربية. وقد أفاد من هذه الرسالة الأخطري، والمسعودي، ولا سيما ياقوت الذي نقل عنها في «معجم البلدان» في موادّ: أتل، باشغارد، بلغار، خزر، خوارزم، روس. وعُني بنشر هذه المعلومات فرهن (C. M. Fraehn) في بطرسبرج، سنة 1823، مع ترجمة باللغة الألمانية، مضيفاً إليها ما وجده في كتب العرب عن قبائل روسية القديمة.

4. «دائرة المعارف الإسلامية الكبرى»⁽⁴⁾.

ابن فضلان - بقلم عناية الله رضا

ابن فضلان، احمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد. عاش في النصف الثاني من القرن 3 والنصف الأول من القرن 4 هـ، وله رحلة عبر عنها ياقوت مرة بـ «كتاب» (1 / 112) وأخرى بـ «رسالة» (2 / 346). غير أن مخطوطة هذا الأثر في آستان قدس (مكتبة الروضة الرضوية في مشهد) تحمل اسم «كتاب» بشكل صريح (ابن فضلان، ط سزغين، 390). وهناك اضطراب حول اسمه: فقال ياقوت إنه أحمد (ن. ص)، لكنه ورد في مخطوطة كتاب ابن فضلان على صورتين ففي مستهل الكتاب (ص 390) باسم «احمد بن

(4) «دائرة المعارف الإسلامية الكبرى»، بإشراف كاظم الموسوي البجنوردي، الناشر: مركز دائرة المعارف الإسلامية الكبرى، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، ط 1، 1998، 3/643-648. (صدرت باللغة العربية).

فضلان»، وفي متن الكتاب دعى المؤلف نفسه باسم آخر: «ولقد أسلم على يدي رجل يقال له طالوت فأسميته عبد الله، فقال: "أريد ان تسميني بأسمك محمد ففعلت" (ن. م. 412)، وربما كان هذا خطأ من الناسخ لان كافة المؤلفين - ومنهم مؤلف كتاب المخلوقات الذي عاش في القرن، 6 هـ / 12 م وقبل ياقوت بقليل - اجمعوا على «احمد بن فضلان» (الطوسي، 414) وهناك بعض التضارب حول جده. فذكر ياقوت في موضع أنه «راشد» (ن. ص)، وفي آخر أنه «أسد» (1 / 723)، ويرجح أنه خطأ من الناسخ، لأنه ورد باسم «راشد» في كتاب ابن فضلان نفسه (ن م، 347 / 390)

وعد ابن فضلان في مطلع الكتاب مولى لمحمد بن سليمان، كما أطلق عليه ياقوت في عدة مواضع «مولى محمد بن سليمان» (484 / 2، 834). ووصفه ياقوت أيضاً ضمن حديثه عن باشغرد بأنه مولى أمير المؤمنين، ثم مولى محمد بن سليمان (1 / 68). وقد أثارته هذه القضية تساؤلات حول قومية ابن فضلان عربية هي أو غير عربية، فيري كوفالفسكي أن اسم ابن فضلان الكامل يؤيد أنه عربي، كما يعتقد المحيطون به أنه عربي أيضاً (ص 20). ورغم أن اسمه: عربي الصيغة، غير أن الاسم وحده لا يكفي لإثبات عربيته، هذا في حين لم يعرف اسم «فضلان» بين الأسماء المشهورة آنذاك (الدهان، 38). وكتب قرن اسم فضلان بضم الفاء (المقدمة، 53)، واعتبار ابن فضلان مولى من الموالي يزيد من صعوبة بحث هذه النقطة أيضاً. ففي العهود المتقدمة كانت كلمة «الموالي» تطلق على الجماعة التي لم تتمتع بكامل حقوق العرب وتخضع لحماية القبيلة، أو أحد أشرف العرب.

وكان يعرف بالموالي في العصر الأموي كل من كان خاضعاً للعرب، وكذلك العبيد الذين تحرروا من ربك العبودية. وفي القرنين 4 و 5 هـ / 10 و 11 م وبعد تحسن أوضاع الموالي في العهد

العباسي، لعبوا أدواراً مهمة على الصعيد السياسي، وكان موالى الخليفة آنذاك يحتلون مناصب أعلى من الأحرار نتيجة الدعم الذي يحظون به من الخليفة نفسه، وكان ينظر إلى لقب «مولى الخليفة» أحياناً كلقب محترم (كوفالفسكي، 21)، حتى إن ملك البلغار أمر أن يخطب له باسم «مولى أمير المؤمنين» (ابن فضلان، ن.م. ٤٠٥).

كان العرب في العصر العباسي قد فقدوا تفوقهم وبالتالي كان من الممكن أن يكون فقراء القبائل العربية في وضع يماثل أوضاع الموالى ومكانتهم الاجتماعية، وربما كان ابن فضلان من بين هؤلاء (كوفالفسكي، 22 - 21). وقد ذكر ياقوت وكذلك مخطوطة الروضة الرضوية ابن فضلان باعتباره مولى لمحمد بن سليمان. وهناك نقطة غامضة، وهي لقب «الهاشمي» الذي تلا اسم محمد بن سليمان في مخطوطة الروضة الرضوية (ابن فضلان، ن.م.، ٣٤٧)، فهل المقصود به محمد بن سليمان قائد المكتفي العباسي الذي قمع الثورة الكبرى التي قام بها القرامطة في سورية عام ٢٩٠ هـ / ٩٠٣ م وأخضع مصر بعد سنتين عندما قمع الطولونيين؟ فإذا كان كذلك فيجب الإشارة إلى أنه لم يكن هاشمياً، وهناك شخص آخر قبله يدعى محمد بن سليمان بن علي وهو من بني هاشم، قاتل في عصر الهادي العباسي الحسين بن علي بن الحسن بن الحسين بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ع) عام 169 هـ (الطبري، ٨ / ١٩٢ - ٢٠٤؛ المسعودي، ٣ / ٢٦٣: ابن الطقطقي ١٩٠)، وتوفي في عهد هارون الرشيد عام ١٧٣ هـ / ٧٨٩ م، ولو أخذنا بنظر الاعتبار فترة الـ ١٢٢ عاماً - وهي الفترة حتى بدء خلافة المقتدر في ٢٩٥ هـ / 908 م - لأدركنا أن ابن فضلان لا يمكن أن يكون من موالى محمد بن سليمان هذا. ولهذا يمكن القول: إن ابن فضلان من موالى محمد بن سليمان المنفق الكاتب فاتح مصر الذي قتل على باب الري (٣٠٤ هـ) في

معركة دارت بينه وبين أحمد بن علي شقيق محمد بن علي صعلوك (ابن الأثير، ٨/103 - ١٠٤). وعلى ضوء هذه المقدمات، يقول كوفالفسكي: المراد بالهاشمي ابن فضلان لاغير، وربما أطلق عليه ذلك لكونه من موالى الخليفة (ص 23). وهذا ما ينطبق مع ما ذهب إليه ياقوت من أنه كان مولى لأمير المؤمنين (١/٦٨٤)، ولا يعرف حتى اليوم مسقط رأسه وقوميته. والنقطة الجديرة بالتأمل هي خطاب ملك الصقالبة لابن فضلان: أنا لأعرف هؤلاء، إنما أعرفك انت وذلك أن هؤلاء قوم عجم (ابن فضلان، ن.م. 406) فهل يريانها امرت ان الجنس؟ أم أن الملك يجهل أصله فدعاء بذلك (الدهان، ٢٨).

ولم يكن ابن فضلان من الرحالة، والحادثة الوحيدة التي دفعته للرحلة إلى بلاد الصقالبة عند نهر الفولغا مع عدد من رسل المقتدر العباسي هو وصول كتاب في ربيع 309 هـ / 921 م من ملك المصقالبة إلى المقتدر حمله عبد الله بن باشنو الخزري يسأله فيه أن يبعث إليه ممن يفقهه في الدين ويعرفه شرائع الإسلام ويبيني له مسجداً وينصب له منبراً ويبيني له حصناً يتحصن فيه من الملوك المخالفين له (ابن فضلان، ن.م.، ٣٩٠ - ٣٩١). وكان هذا الملك حاكماً على البلغار القاطنين على ضفاف نهر الفولغا (إتل)، وسمي ملك البلغار في كتاب ابن فضلان بـ «ملك الصقالبة» أيضاً (ن.م.، ٤٠٤، ٤٠٥)، لكنه وافق على لقب «أمير البلغار» بعد لقائه برسول الخليفة واقترح ابن فضلان (ن.م.، ٤٠٦). وتسترعي الانتباه هنا إلى قضيتان:

1. لماذا بعث ملك البلغار سفيراً من الخزر، في حين أن ملك الخزر كان عدواً له وقد تدين أشرافهم وأعيانهم بالديانة اليهودية؟ وتفهم مما كتبه ابن فضلان أن ملك البلغار كان يدفع الخراج لملك الخزر، وكان ابنه أسيراً لديه، كما كان قد أخذ

ابنته بالقوة (ابن فضلان، ط كوفالفسكي. ٣١٩)، ويستشف من كتاب ابن فضلان أن عبد الله بن باشتو الخزري كان لاجئاً ومهاجراً سياسياً من الخزر وممثلاً لمسلمي تلك البلاد، وكان يسعى لتحويل بلاد الخزر إلى بلد إسلامي (كوفالفسكي، 15).

2. هل كان البلغار من الصقالبة؟ هناك اختلاف في الرأي حول هذه القضية بين ابن فضلان وابن رسته المعاصر له تقريباً، فابن فضلان كان يرى أن أرض البلغار هي بلد الصقالبة وأن البلغار هم من الصقالبة (ن.م، ٣١٩)، في حين يعتقد ابن رسته أن البلغار يقطنون بين الخزر والصقالبة (٧ / ١٤١) وهو بهذا لا يعد البلغار من الصقالبة. ويقول كوفالفسكي: لاشك في أن المقصود بالصقالبة «السلافيون» الذين يعدُّ السكان الأصليين للأراضي الشمالية منهم أيضاً (ص 159، ها 9)، غير أن بارتولد لم يقدم رأياً واضحاً حول بلغار ضفاف الفولغا ومنشئهم (٧ / 509).

وأوردت المصادر أسماء مختلفة لملك البلغار: فذكر ياقوت - الذي كانت لديه رسالة أحمد بن فضلان - أنه «المس بن شلكي بلطوار» (١ / ٧٢٣)، في حين جاء بعدة صور في كتاب ابن فضلان مخطوطة الروضة الرضوية فمرة «الحسين من بلطوار» (ط سرگین، ٣٩١)، وأخرى «المش بن شلكي» (ن.م، ٤٠٢) وفي موضع ثالث «الملك بطوار» (ن.م، ٤٠٥). أما ابن رسته فذكر أنه «ألمش» (٧ / ١٤١)، والكرديزي أنه «املان» (ص ٢٧٣). وأورد كوفالفسكي أن اسمه «ألمش بن شلكي» ويلقب بـ «يلطوار»، وذكر أن من الممكن قراءة اسمه «المش» (ص 160. 13)، ورأى أيضاً أن كلمة «بلطوار» صحيحة، واحتمل أن تكون اسماً لعلاقتها بكلمة «إيل» التي تعني «القبيلة» (ص 160). وذكر كوفالفسكي أيضاً أن تسمية ابن فضلان لملك البلغار بـ «ملك الصقالبة»

ناجم عن جهله بالنشأة القومية واللغوية لسكان الشمال، وقد يكون الدافع وراء تسمية ملك البلغار لنفسه بـ «ملك الصقالبة». محاولته رفع مكانته عند الخليفة وحاشيته (ص 15).

واستجابة من المقتدر العباسي لرعية ملك البلغار، فقد بعث وفد إليه بصحبة عبد الله بن باشتو الخزري سفير ملك البلغار. وكان الوفد يتألف من: ١. سوسن الرسي مولى بذير الحرمي الذي كان يتولى رئاسه شؤون حرم الخليفة، ويحتل بعد الوزير حامد بن عباس أرفع مقام في بلاط المقتدر. وقد أنيطت بسوسن رئاسة الوفد (م.ن، 161)، وسوسن من أسماء الغلمان، ويعزى ترؤسه لوفد الخليفة إلى المكانة التي كان يتمتع بها سيده نذير الحرمي (م.ن، 164).

2. تكين وهو غلام تركي من خدم الخليفة وممن يعتمد عليهم. أمضى شطراً من حياته في خوارزم يمتهن الحدادة كما ذكر ذلك ملك خوارزم فيما بعد، وعده إنساناً ماكراً ومحتالاً (ابن فضلان، ط سزگین، ٣٩٣)، ويستشف من المعلومات التي قدمها تكين حول البلغار (ن.م. ٤١٣) أنه أقام هناك لبعض الوقت (گو فالفسكي. 14).

٣. بارس الصقلابي، وهناك شك في أن يكون هذا الاسم اسماً صقلبياً، وربما هو اسم خاص ببلغار ضفاف نهر الفولغا (م.ن، 15)، أو أنه تلفظ آخر لكلمة بوريس⁽¹⁾ والتي يتلفظها الروس «باريس»، أو أنه التلفظ البلغاري - التشوفاشي⁽²⁾ لكلمة باريس كما ذهب إلى ذلك كوفالفسكي (ص 164).

٤. أحمد بن فضلان، وكان بمثابة رجل الدين في الوفد. وهناك اختلاف في وجهات النظر بين ابن فضلان وابن رسته حول قدم الإسلام في بلاد بلغار ضفاف الفولغا، وقد قال ملك المغار لان فضلان حول الخطبة باسمه واسم أبيه: «إن أبي كان كافراً» (ابن فضلان، ن.م. ٤٠٦)، ويفهم مما

ذكره ابن فضلان حول طلب ملك البلغار إيفاد وفد لبناء مسجد . وتبليغ الشعائر الإسلامية وحديثه عن كفر والده، أن الدين الإسلامي لم يكن منتشرًا في بلد البلغار قبل هذا الملك، غير أن لابن رسته رأياً مخالفاً، إذ يقول إن أكثرهم ينتحلون دين الإسلام وفي محالهم مساجد وكتاتيب ولهم مؤذنون وأئمة (١٤١/٧)، والتقي ملك البلغار بوفد الخليفة في ١٢ محرم ٣١٠ هـ / ١٢ أيار ٩٢٢ م، غير أن زمن تصنيف كتاب الأعلام النفسية لا بن رسته كان قبل ٢٩٠ هـ / ٩٠٣ م، وأورد بارتولد نقلاً عن دي خويه أن ابن رسته لم يذكر في كتابه أي حادثة وقعت بعد هذا العام، وأنه ذكر اسم المعتضد العباسي (ت ٢٢ ربيع الثاني 289 هـ / 5 نيسان ٩٠٢ م) مشفوعاً بعبارة «أطال الله بقاءه»، وهو يعني أن الكتاب صنف قبل هذا التاريخ (بارتولد، 511 / ٧؛ ابن رسته ٧٧٤).

وبعد طول رحلة وفد الخليفة وطول الطريق الذي قطعه من النقاط المهمة الأخرى والجديدة بالبحث، فقد غادر هذا الوفد بغداد في يوم الخميس ١١ صفر هـ / ٣٠٩ هـ / ٢١ حزيران ٩٢١ م، وبعد مسيرة طويلة عبر همدان والري ونيسابور ومرو وبخاري وخوارزم وضواحي بحيره آرال و اوست بورت⁽³⁾ و يائيك⁽⁴⁾ (في قازاخستان الحالية)، وحوض الفولغا . وصل إلى بلد البلغار في يوم الأحد ١٢ محرم ٣١٠ ، بعد أحد عشر شهراً (كرانشكوفسكي، 17 / 185).

ومن الممكن التساؤل لماذا اختار الوفد هذا الطريق الطويل عبر آسيا الوسطى وشرق وشمال بحر الخزر. وأطراف بحيرة آرال وبلاد الغز والبجناك بدلاً من المرور عبر آذربيجان والقفقاس؟ ويبدو أن هناك عدة عوامل دفعت إلى اختيار هذا الطريق الأبعد: الأول، اضطراب طريق آذربيجان والقفقاس لتمرّد يوسف بن أبي الساج في آذربيجان (القرطبي، ٦٤ - ٧١)، كما أن

القفقاس كانت تحت سيطرة إمبراطورية الخزر القوية التي كانت الحكومة العباسية الضعيفة عاجزة عن مواجهتها (حول ضعف الجهاز الحاكم آنذاك، ط: ابن الأثير، ٨٣/8 / 89، 155، القرطبي، ٩٧؛ ابن الطقطقي، ٣٦٣)، خاصة أن الخزر والروس كانوا قد شنوا حملات قتل ونهب على مناطق واسعة في آذربيجان وسواحل بحر الخزر (كوفالفسكي، 16: المسعودي، ١ / ٢٠٥-٢٠٦)، هذا فضلاً عن أن التقارب بين الروس والخرز كان من الممكن أن يؤدي إلى قلق الخلافة ببغداد، وربما كان من أسباب اختيار هذا الطريق رغبة بغداد في التقرب من الغزو وبالتالي تقوية البلغار في مواجهة الروس والخرز بصفتها خطراً مشتركاً، لأننا نلاحظ ارتفاع أصوات الاعتراض وسقوط الحكومة السامانية وعودة الدولة العلوية على يد الحسن بن علي الأطروش بعد غزو الروس لشمال إيران مباشرة (كوفالفسكي، 17). وقد دخل الأطروش طبرستان بعد غزو الروس وكان ذلك في أول يوم من المحرم سنة ٣٠١ (المسعودي، ٢١٧/٤).

والعامل الآخر الذي شجع الخليفة على كسب قوة الغز والبلغار المتحدة، هو مصاهرة قائد جيش الغز ورجلها القوي أترك بن القطعان ملك البلغار المش بن شلكي (ابن فضلان، ط سرگين، ٤٠١ - ٤٠٢). فلو أسلم الغز وتحالفوا مع البلغار في قتال الخزر، لكان ذلك انتصاراً كبيراً لجهاز الخلافة في فرض نفوذه على آسيا الوسطى وخراسان والقفقاس، وربما على آذربيجان وطبرستان والديلم. ويرى كوفالفسكي أن اتحاد الغز والبلغار كان من الممكن أن يؤدي أيضاً إلى توجيه ضربة قاصمة لأعيان الخزر اليهود، وبالتالي سيطرة مسلمي الخزر على زمام الأمور هناك (ص 16)، وكان مركز الخلافة يعلق أهمية كبيرة على انتصار مسلمي الخزر ودخول الغز إلى الدين الإسلامي،

أكثر من مائتي فرسخ. ويقول أيضاً: انحدرنا من خوارزم إلى الجرجانية وبينها وبين خوارزم في الماء خمسون فرسخاً (ن.م، 393). ويعلق ياقوت على ذلك: ولا أدري أي شيء عنى بخوارزم لأن خوارزم هو اسم الإقليم بلاشك (٤٨٤ / ٢)، وفي الأدب الجغرافي للقرنين (٤ و 5هـ و 10 و ١١ م) والذي لا يجهله ياقوت كانت أغلب المدن الرئيسة والعواصم تسمى بأسماء بلدانها. ويشير لسترنج - استناداً إلى ابن الأثير الذي عاصر ياقوت - إلى بناء مدينة جديدة بجوار خوارزم القديمة في ٦٢٨ هـ. لم تلبث أن أصبحت مركزاً للإقليم (ص 448؛ ابن الأثير، ١٢/٤٩٥).

وأشار ابن بطوطة في القرن 8 هـ إلى مدينة خوارزم، ولابد أنه يعني بها المدينة الجديدة (ص ٣٥٩)، ويشير ابن فضلان ضمن حديثه عن نهر جيحون والبرودة الشديدة وجماد النهر من أوله إلى آخره، إلى أن سمك جليد النهر قد بلغ 17 شبراً، حتى إن الخيل والبغال والحمير والأبقار والعجول كانت تجتاز عليه كما تجتاز على الطرق وهو ثابت لا يتخلخل (ط سرگین، ٣٩٤). ورفض ياقوت ذلك ووصفه بالكذب وقال: إن الماء أكثر ما يجمد خمسة أشيار. وهذا يكون نادراً، فأما العادة فهر شبران أو ثلاثة شاهدهته وسألت عنه أهل تلك البلاد. ولعله ظن أن النهر يجمد كله، وليس الأمر كذلك، إنما يجمد أعلاه وأسفله جار (٤٨٤/٢) - (٤٨٥). ويشير كوفالفسكي إلى أن ابن فضلان ربما بالغ بعض الشيء في وصف سمك الجليد. وهذا بالطبع يتأثر بشدة البرودة التي ليست واحدة في كافة الفصول، والنقطة الأخرى أنه سمع ذلك من أهل البلاد، كما لا يمكن أن يصح لتصوره لانجماد النهر بأسره، وربما أراد انجماد النهر من تلك المنطقة وحتى الجبال القريبة (ص 68)، أما عن جريان ماء النهر، فرغم أن ابن فضلان بالغ في سمك الجليد، لكن لا يفهم من كلامه أبداً أن

لأن في مقدورهم إطفاء نيران التمردات، وإخراج الدولة السامانية والخوارزمية في آسيا الوسطى من التبعية الصورية إلى التبعية الحقيقية (م.ن. 17). وفضلاً عن تأمين سلامة الوفد المذكور، يبدو أن هناك أهدافاً سياسية أيضاً من وراء إختيار ذلك الطريق الطويل.

والقضية الأخرى وراء إيفاد وفد الخليفة عبر آسيا الوسطى، هي مشكلة تأمين تفتقات الوفد المالية، لأن علي بن الفرات وزير الخليفة أعلن قبل سفر الوفد عن إفلاس الخزانة، ورغم استعادة بعض تلك الأموال بمصادرة أموال الوزير، إلا أن الخزانة ظلت خالية (ن. ص)، كما أشار ابن الطقطقي أيضاً إلى خلو بيوت الأموال في عهد المقتدر (ص ٢٦٢). ويستنبط مما أورده ابن فضلان أنه تقرر تأمين نققات السفر من أمراء بخارى و خوارزم (ن.م. ٣٩٢).

واقترن عبور وفد الخليفة بإيران بشيء من القلق، فيشير ابن فضلان إلى أنهم صادفوا في دامغان ابن قارن ممثل الداعي الحسن بن قاسم، فتنكروا في القافلة للحفاظ على حياتهم حتى قدموا نيسابور (ن.م، 319)، وأسمى كوفالفسكي هذا الشخص ((شروين بن رستم بن سهراب ابن قارن)) (ص 167)، وقطع وفد الخليفة الطريق من نيسابور إلى بخاري براحة بال. ويبدو أن هذا الوفد كان أول وفد للخليفة المقتدر إلى نصرين أحمد الأمير الساماني الشاب، كما التقى الوفد الجيهاني الجغرافي المشهور ووزير آل سامان (ابن فضلان، ن.م، ٣٩٢).

ومن هناك انطلق الوفد إلى خوارزم والجرجانية، وكذب ياقوت بعض ماجاء في سفر ابن فضلان إلى خوارزم، ويفهم من كلام ابن فضلان أن خوارزم فضلاً عن أنها كانت اسماً لبلد، فقد كانت اسماً لمدينة أيضاً، وذكر بأن المسافة إلى خوارزم من الموضع الذي اكتروا منه السفينة تبلغ

نهر جيحون لم يكن يجري في الأعماق، وعندما يتناول ابن فضلان برودة خوارزم والجرجانية، يقول: «ولايسقط الثلج إلا ومعه عاصف شديدة» (ن.ص)، ويصف ياقوت هذا الكلام بالكذب أيضاً (٤٨٥/٢). ويستشف من كلام كوفالفسكي أن ابن فضلان كان يثق بأقوال أهل تلك البلاد، ولهذا يمكن اعتبار مادونه مبالغاً فيه، ولا يمكن اعتباره كذباً محضاً، لأن ابن فضلان - على أي حال - كان قريباً من تلك الأحداث وشاهداً لها (ص 69).

وهناك تباين بين ما ذكره ياقوت وبين ما جاء في مخطوطة الروضة الرضوية حول حطب الناغ (الطاغ)، وربما كان هذا وراء وصف ياقوت لهذه الفقرة التي أوردها ابن فضلان بالكذب أيضاً. فقد جاء في المخطوطة: «إلا أن الله تعالى قد لطف بهم في الحطب وأرخسه عليهم. حمل عجلة من حطب الطاغ بدرهمين من دراهم تكون زهاء ثلاثه آلاف رطل» (ط سزگين، ٣٩٤)، في حين ورد في معجم البلدان: «إلا أن الله عز وجل قد لطف بهم في الحطب وأرخسه عليهم حمل عجلة من حطب الطاغ وهو الغضا بدرهمين يكون وزنها ثلاثة آلاف رطل» (٤٨٥/٢).

والتباين في النص واضح بحيث أدى إلى ظهور اضطرابات في أقوال الباحثين. فقد كتب البعض جملة «من دراهم» التي جاءت في مخطوطة الروضة الرضوية، وأسقطها ياقوت، بشكل «من دارهم» (الدهان، ٨٤. هـ ١). وأصلح سامي الدهان هذه الجملة - نقلاً عن زكي وليدي طوغان كالتالي «بدرهمين من دراهمهم»، وقال إن الصواب كما ورد عن طوغان. أي «من دراهمهم» (ن.ص). ونقل ياقوت في موضع آخر عن ابن فضلان قوله: «وزنها ثلاثة آلاف رطل» (٤ / ٨٥٢)، غير أن كلمة «وزنها» غير موجودة في مخطوطة الروضة الرضوية (ط سزگين، ٣٩٤). ويعلل كوفالفسكي ذلك بأنه ربما نجم هذا النقص من المخطوطة

التي اعتمدها ياقوت، أو أنه أضاف ذلك من عنده. وبذلك تغير معنى الجملة وأصبح وزن الحطب، ثلاثة آلاف رطل، في حين أن ابن فضلان لم يكن يريد وزن الحطب، بل كان يتحدث عن قيمة النقود (ص 69).

وبعد خوارزم واصل وفد الخليفة السفر عبر طريق وعر إلى أوست بورت ومنها إلى بلاد الغز، وقدم لنا ابن فضلان في رحلته إلى بلاد الغز معلومات قيمة جداً عن النظام الاجتماعي وطبيعة الحياة وعقائد أهل هذه البلاد. ثم توجه الوفد إلى البجنان ومنها إلى بلاد الباشغرد، وهم أناس أشرار وأشد إقداماً على القتل، وقد خشي الوفد منهم كثيراً (ط سزگين، ٤٠٣). ثم رحل الوفد إلى بلد الصقالبة، وهو بلد البلغار كما ورد عن ابن فضلان (ن.ص ٤٠٤، ٤٠٥). وذكر ابن فضلان أن الوفد وصل إلى عاصمة البلغار في 12 محرم ٣١٠، لكنه لم يذكر اسم المدينة. وقد أورد بارتولد أن عاصمة البلغار هي الخرائب الغربية من قرية بلغاري⁽⁶⁾ الحالية في جمهورية تاتارستان ذات الحكم الذاتي، وحدود اوسبنسك⁽⁷⁾ في مدينة اسياسكي⁽⁸⁾ التابعة لولاية غازان في نفس الجمهورية؛ وتبعد حوالي 5/6 كم عن الضفة اليسرى لنهر الفولغا. ويقول نقلاً عن برزين⁽⁹⁾، إن هذه المسافة تنطبق مع ما ذكره ابن فضلان في كتابه (٧ / 514)، حيث قال: إن المسافة حتى نهر الفولغا (إتل) هي فرسخ واحد (ط سزگين، ٤١٣؛ الدهان، ١٣٦). ويشتمل آخر الكتاب على معلومات قيمة حول الروس والخزر. ويبدو أن مخطوطة الروضة الرضوية غير كاملة، لأنها لا تتحدث عن عودة الوفد.

ويحظى كتاب رحلة أحمد بن فضلان بأهمية بالغة لانه لا يتحدث فيه عن العلاقات السياسية بين الدولة العباسية والبلدان المجاورة فحسب، بل عن علاقاتها السياسية أيضاً مع المناطق النائية كالبلدان الواقعة على ضفاف نهر الفولغا،

الخلقي: ٨. أنواع مراسم الدفن سيما مراسم إحراق الموتى وكذلك إحراق الزوجات مع أزواجهن: ٩. تمزق الجيش بعد وفاة الملك: 10. الطعام وطريقة ذبح الحيوانات: ١١. طريقة الطهارة: ١٢. أزياء مختلف الطبقات: ١٣، طريقة حلاقة اللحي: ١٤. طريقة استخراج عصارة النباتات.

تقييم المصادر: هناك عدا ياقوت الحموي الذي نقل مواضيع مفصلة عن رحلة ابن فضلان، كاتبان إيرانيان نقلتا في كتاباتهما الفارسية عن هذا الأثر؛ الأول محمد بن محمود بن أحمد الطوسي مؤلف كتاب عجائب المخلوقات، وقد كتبه قبل ياقوت، ويحتل بين ٥٥٥ و ٥٦٢ هـ / ١١٦٠ و ١١٦٧ م (ستوده، ١٨)، أي قبل 59 عاماً تقريباً من الانتهاء من تأليف معجم البلدان في هـ / ٦٢١ / ١٢٢٤ م (٤/١٠٤٨)، ويرى كوفالفسكي أن مؤلف كتاب عجائب المخلوقات هو نجيب الهمداني، وأنه يسمى خطأ بأحمد الطوسي (ص 41)، والكاتب الآخر هو أمين أحمد الرازي الذي عاش في أواخر القرن 10 وأوائل القرن ١١ هـ، وله كتاب جغرافي يعرف به هفت إقليم (الأقاليم السبعة)، وذكر كراتشكوفسكي أنه فرغ من تأليفه في ١٠٠٢ هـ / ١٥٩٤ م (531 / V1). وأشار مؤلف كتاب عجائب المخلوقات خلال سرحه لبعض الموضوعات بصراحة إلى أحمد بن فضلان ونقل عنه (الطوسي ٤١٤ / ٥٧٠) ورغم أن أمين أحمد الرازي لم يشر إلى فضلان، إلا أن بعض ما أورده مقتبس عن كتاب ابن فضلان، فما ذكره حول الروس والخزر وخوارزم وغيره يؤكد اقتباسه عن ابن فضلان وكتاب عجائب المخلوقات (3/314، 495 - 498) ويبدو أن رحلة ابن فضلان كانت معروفة في إيران، لكنها لم تعرف كأثر مستقل في أوروبا حتى مطلع القرن 19 م. ولم يكن في متناول الباحثين إلا أجزاء منها منقولة عن الآخرين وفي طليعتهم ياقوت (كوفالفسكي،

ولكتاب ابن فضلان أيضاً قيمة كبيرة على صعيد الأنثروبولوجيا في تلك الحقبة التاريخية، فهو يتحدث من الأتراك الرحل في آسيا الوسطى ودورهم في شرق أوروبا وبلاد البلغار وروسيا وأراضي الخزر. كما لا يمكن تجاهل القيمة الأدبية لهذا الكتاب وأسلوب كتابته، وعدم التصنع فيه والظرافة في بيان المقصود وفكاهاته (كراتشكوفسكي، 185 / 17)، ويذكر كوفالفسكي أن ابن فضلان تعامل بروح الإنصاف مع كل ما رآه وسمعه. وأضاف أن أثره لم يصل إلينا بشكل كامل، وما وصلنا لم يخلو من التحريف، في حين يمكن إحياء الكثير مما كتبه من خلال الدراسة العميقة والدقيقة (ص 71).

ورغم أن مهمة ابن فضلان الرسمية كانت الدعوة إلى الإسلام في البلاد الشمالية، إلا أن اهتمامه بالقضايا السياسية يحظى بالأهمية أيضاً، فنراه يورد معلومات قيمة عن العلاقات الاجتماعية بين أقوام آسيا الوسطى وحوض نهر الفولغا وروسيا. ولكن أفكاره مشوبة بالعجب والتكبر حيال بعض الأقوام، ويصدق ذلك على رأيه في مسلمي خوارزم، حيث يصفهم بأنهم «أوحش الناس كلاماً وطبعاً»، وكلامهم أشبه شيء بصياح الزرايزر» (ط سزكين، ٣٩٣ - ٣٩٤). ويصف الغز بأنهم «كالحمير الضالة» (ن.م، ٣٩٦) والباشغرد بأنهم «شر الأتراك» (ن.م. / ٤٠٣).

وفضلاً عما ذكر، يتناول كتاب ابن فضلان الموضوعات الآتية:

1. خصائص مختلف الشعوب؛ ٢. النقود والمسكوكات ومنها المسكوكات النحاسية؛ 3. ضرائب الأرض والأموال والرسوم التجارية؛ 4. المحاكم الخاصة بالمسلمين في البلدان غير الإسلامية؛ 5. حضور زوجة الملك في المراسم الرسمية؛ 6، العقوبات الخاصة بالسلب والنهب؛ 7. الفساد

38 : ط: ياقوت، 1/112، -114، 468 - 470،
722 - 728، 2 / 436 - 440، 484. 486 - .
834 - 840).

وقد حقق العلماء الدنماركيون والروس في
رحلة ابن فضلان قبل محققي باقي البلدان
الأوروبية وكان راسموسن⁽¹⁰⁾ (1785 - 1826م)
المستشرق الدنماركي أول أوروبي بحث
حول التجار المسلمين والعرب . ويمكن أن يُعد
السلف البارز لقرن في دراسة رسالة ابن فضلان
(كراتشكوفسكي، 61/7).

كتب كوفالفسكي عن آثار محمد بن محمود بن
أحمد الطوسي (نجيب الهمداني) وأمين أحمد الرازي
يقول: كان معروفاً منذ مدة مديدة أن بعض آثار
هذين المؤلفين قد اقتبس عن كتاب ابن فضلان
ونشرت بعض كتابات نجيب الهمداني لأول مرة
في 1827م متزامنة تقريباً مع إمارة اللثام عن
بعض موضوعات ابن فضلان لكن الأخبار الواردة
في كتاب أمين أحمد الرازي والتي تضم مواضيع
مستلة عن ابن فضلان التي تعود إلى عام 1892م.
ولم يسفر التطبيق بين هذين الكتابين الفارسيين
وبين ما أورده ياقوت، عن نتائج مطلوبة آنذاك، ثم
علم فيما بعد انهما أخذاً عن ابن فضلان، وظهر
رأي يقول إن المخطوطة التي اعتمدها أمين أحمد
الرازي اكمل من المخطوطة الموجودة في مشهد
(ص 41) وتحدث الباحث فرن مؤسس المتحف
الآسيوي وأحد رواد التحقيق في المصادر العربية
حول روسيا عن رحلة ابن فضلان ، وذلك في
أثره الكلاسيكي « بلغار الفولغا على ضوء رحلة
ابن فضلان⁽¹¹⁾ الذي يعد من تحقيقاته العلمية
القيمة وقد طبع في 1823م ويمكن أن يعد ما كتبه
فرن حول رسالة ابن فضلان من أبرز النصوص
الجغرافية في القرن 19م (كراتشكوفسكي، 26/
IV) وقد كتب سبنسين عالم الآثار الروسي مقال
بعنوان « حول صحة مذكرات ابن فضلان⁽¹²⁾

أكد فيها أن كتاب ابن فضلان طافح بالجهل
والتحريف، ولا يوجد فيه ما يطمأن إليه (كوفالفسكي، 39) ورد تبزن هاوزن⁽¹³⁾ في تلك البرهة
على سبينسين في مقال عنوانها "الدفاع عن ابن
فضلان"⁽¹⁴⁾ وصف فيها مقال عالم الآثار المذكورة
بالسطحية وقال عنه إنه عجز عن تقديم أجوبة
مقنعة للقضايا المطروحة (ظ: ن.ص) ومع ذلك
لم ترتفع شكوك الباحثين ، ففي 1908 اعرب
فستبرغ - وهو عالم من ريغا.. عن رأيه فيما كتبه
سبينسين ووصف بعض ما جاء فيه بأنه معقول
(ن. ص، ها 3)، ونجد أفضل نقد ورد لما ذكره
ابن فضلان، فيما كتبه ماركوارت خلال دراسته
لمنتخب من أثر محمد العوفي، فضمن حديثه عن
تقارير رحلة ابن فضلان. نراه يشير إلى خطأ
أفكاره، ويصف ما كتبه بأنه «تضليلات وقحة»،
ويؤكد على أن ابن فضلان لم يصل أبداً إلى ساحل
القولغا، وأن ما كتبه خطأ ليس إلا (كوفالفسكي،
ن.ص). وخصص روزن⁽¹⁵⁾ أيضاً في القسم الأعظم
من بحوثه حول المصادر العربية التي تتحدث عن
أوروبا الشرقية، مساحة مهمة للحديث عن رسالة
ابن فضلان (كراتشكوفسكي، 100 / V)، وتعد
«مقدمة الطبعة الجديدة لمذكرات ابن فضلان»⁽¹⁶⁾
التي نشرت عام 1902م، مسعى جديداً لتقييم
المعلومات التي قدمها ابن فضلان. وتحدث روزن
في تلك المقالة عن العلاقة بين كتابات ابن فضلان
وياقوت، سيما انتقادات ياقوت، وكانت تحظى
في تلك الفترة بأهمية كبيرة (كوفالفسكي، 39)،
وفي 1904م حقق روزن كتاب ابن فضلان للمرة
الثانية (كراتشكوفسكي، ن.ص) وقد أفاد كل من
روزن وبارتولد في بحوثهما الكثير مما أورده فرن
(م.ن.. IV/185).

وكان العثور على مخطوطة ابن فضلان في
متحف الروضة الرضوية منعطفاً في دراسة
الباحثين لرحلة ابن فضلان وقد تم ذلك بعد ما

عام ١٩٣٩ م (كوفالفسكي. 80)، ونشرت في نفس العام الترجمة الروسية لمخطوطة رحلة ابن فضلان التي كانت تعود لشخص يدعى ابن خاتون، وقد أهديت إلى مكتبة الروضة الرضوية في 1067 هـ. ويعتقد أن ابن خاتون هو من ذرية امرأة تدعى خاتون كانت لها مكتبة قيمة في مرو (م.ن، 40). وقد أشار ياقوت إلى وجود «خزائن خاتونية» في إحدى مدارس مرو (٤/٥٠٩) يرجح أنها تعود لخاتون التي أشرنا إليها. ويحتمل أن يعود تاريخ مخطوطة الرسالة الموجودة في مشهد إلى القرن 7 هـ / ١٣ م ضمن مجموعة كتب مكتبة مرو المشار إليها.

ويبدو أن ياقوتاً رأى هذه المخطوطة، لكن يستشف من كتابته أنه اطلع على مخطوطة أخرى لهذه الرسالة أيضاً (كوفالفسكي، ن.ص). ويعد بلباييف من بين الباحثين الذين حققوا في مذكرات رحلة ابن فضلان اعتماداً على مخطوطة الروضة الرضوية. وقد أفاد في مقالة له بعنوان «المصادر العربية حول تاريخ التركمان وتركمستان بين القرنين الـ 9 و13»⁽¹⁹⁾ من مذكرات ابن فضلان مما ورد في مخطوطة الروضة. ابن فضل الله الرضوية حول خوارزم والغز، وكتب بارتولد في ١٩٢٦ ١٩١٨ م تقريراً عن عنوانه ((معلومات العرب من الروس»⁽²⁰⁾ أشر عام ١٩٤٠ م في المجلد الأول من نشرة الدراسات الشرقية الصادرة بالاتحاد السوفيتي (أومنياكوف، -145 144)، وأضيف إلى النص الأصلي لمقالة بارتولد هرامش تضم معلومات عن رحلة ابن اسلان مستقاة من مخطوطة الروضة الرضوية (858 - 810) / 1 (II)، وهناك مقالة لسмир نوف أيضاً عنوانها «شرح لتاريخ البلغار القديم» نشرت عام ١٩٤٠ م في نشرة «أعمال المتحف الحكومي للتاريخ»، وتعد مقالة غريكوف حول مذكرات رحلة ابن فضلان بعنوان «بلغار الفولغا خلال القرنين ٩ و ١٠ م»

يقرب من مئة عام عثر على المخطوطة لأول مرة عام 1930م على يد ايفانوف عند تدقيقه فهرس مكتبة الروضة الرضوية وكانت تلك المخطوطة تشمل كتاب البلدان لابن الفقيه. ورسالتين لأبي دلف وكتاب أحمد بن فضلان (كوفالفسكي، 72ها!).

وكان أحمد زكي وليدي طوغان الذي كان يقيم آنذاك في الاتحاد السوفيتي. ويعرف قبل هجرته إلى تركيا بأحمد زكي وليدوف قد تعرف إلى كتاب ابن فضلان في ١٩٢٣ وعرفه في مقالة له. ونشرت مجلة إيرانشهر ترجمة تلك المقالة في 1305 ش (العدد 1، ص ٤5 - 48 العدد 3، ص ١٦٤ - ١٦٨ العدد ٤ ص ٢٣٥ - 340) وفي ١٩٣٥ حصل معهد الدراسات الشرقية في المجمع العلمي السوفيتي على مصورة كاملة لتلك المخطوطة التي تتألف من الجزء الثاني من مصنف ابن الفقيه الهمداني، ورسالتين لأبي دلف، وكتاب ابن فضلان في ٢١٢ ورقة من القطع الكبير، وقد عقد منذ 19 وحتى تشرين الأول 1937 المجمع السوفيتي للدراسات الشرقية اجتماعاً في مدينة لينينغراد، قرأت فيه تقارير عن مذكرات ابن فضلان. وفي 1939م نشر معهد التاريخ ومعهد الدراسات الشرقية في المجمع العلمي السوفيتي بموسكو ولينينغراد تلك التقارير مع ترجمة وتعليقات في كتاب عنوانه «رحلة ابن فضلان إلى الفولغا»⁽¹⁷⁾ بإشراف كراتشكوفسكي وجاءت في الكتاب أجزاء من رحلة ابن فضلان برواية ياقوت، سيما المخطوطتين الموجودتين في معهد الدراسات الشرقية. وفي نهاية عام 1939م نشرت عدة مقالات لزكي وليدي طوغان حول مخطوطة ابن فضلان ضمن مجموعة باللغة الألمانية بعنوان «تقرير حول رحلة ابن فضلان»⁽¹⁸⁾.

ويفهم من مقدمة زكي وليدي طوغان أنه كان مطلعاً على النص الذي طبع في الاتحاد السوفيتي

التي نشرت في نشرة «المذكرات التاريخية» ذات أهمية كبيرة، ومن بين الذين حققوا في مذكرات رحلة ابن فضلان هلموت ريتير في مقالة عنوانها «حول متن تقرير رحله ابن فضلان» حلل فيها هذا الأثر من منظار علم اللغة (ص 120 - 98)، ووصف ريتير أسلوب كتابة ابن فضلان بأنه ليس بالمقبول، كما احتل أن يكون ياقوت قد قام ببعض التصحيحات في المتن (ص 100)، ويعتبر ماكتبه العالم المجري تسغلدي بعنوان «حول تقرير رحلة ابن فضلان اعتماداً على مخطوطة مشهد»⁽²³⁾ من بين الأعمال القيمة حول هذه الرحلة، وتحظى كتابته بأهمية فائقة على صعيد دراسة مخطوطة الروضة الرضوية.

ونشر كل من روبرت بليك وريتشارد فراي مقالة مشتركة بعنوان «مذكرات تتعلق برسالة ابن فضلان»⁽²⁴⁾ وتتألف من مقدمة، وترجمة إنجليزية لكتاب ابن فضلان، ومذكرات وإضافات، وملحقات، واعتبر هذان الباحثان آراء زكي وليدي طوغان مضطربة ومشوشة، لكن لا يلاحظ في مقالتهما أية محاولة لدراسة النص العربي دراسة مستقلة، وانصبت دراستهما في الأغلب على تفسير آراء الباحثين الآخرين (كوفالفسكي، 86). وانعكست بعض ملاحظات كتاب ابن فضلان في تأليف تاديوش كوفالفسكي المفكر البولندي، بعنوان «حول سفر إبراهيم بن يعقوب الطرطوشي إلى بلاد الصقالبة برواية البكري»⁽²⁵⁾..

واستند زابوتشكوفسكي على ابن فضلان في «تحقيق حول لغز الخزر»⁽²⁶⁾. كما اعتمد آرتامونوف عليه أيضاً في كتابه «تاريخ الخزر» ضمن تناوله العلاقات الاجتماعية بين البلغار والخزر (ص 401) وأسلوب الدفن وحتى قتل الخواقين بعد 40 عاماً من الحكم (ص 410 - 409). وقام العالم السويدي آرنه⁽²⁷⁾ أيضاً بدراسة مخطوطة كتاب ابن فضلان محققاً في رحلته إلى

بلد البلغار، وقد قدم في البداية خلاصة تاريخية للتحقيق حول أثر ابن فضلان، سيما في روسيا. ثم تناول رحلته المناطق المحيطة بالفولغا. وبذل مزيداً من الاهتمام في الموضوعات الخاصة بالغز والتركمان و منشئهم، وجعل من كتابات بارتولد ومينورسكي وأوشانين⁽²⁸⁾ أساساً لتحقيقاته (كوفالفسكي، 91).

وهناك مقالات بالعربية واللغات الشرقية أيضاً حول رحلة ابن فضلان منها مقالة عبد الوهاب عزام «البلغار المسلمون»، مجله الثقافة ١٩٤٣ م، عد ١٦١، ١٩٤٤ م، عد ٢٦٢ مقالة مينورسكي «الرحاله العربي ابن فضلان»، المستمع العربي، ١٩٤٤ م، ج 4، عد ١: مقاله زكي محمد في كتاب الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٤٥ م: مقاله كراتشكوفسكي في كتاب الدراسات العربية في الاتحاد السوفيتي بغداد، ١٩٤٦ م (كرفالفسكي، ن. ص)، وفي ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ م نشر بدمشق كتاب ابن فضلان مع تعليقات وتوضيحات للدكتور سامي الدهان، اعتماداً على مخطوطة الروضة الرضوية المصورة، وفي ١٣٤٥ ش نشرت مؤسسة الثقافة الإيرانية الترجمة الفارسية للكتاب التي قام بها أبو الفضل الطباطبائي، ويعتبر «كتاب أحمد بن فضلان ورحلته إلى الفولغا خلال الفترة ٩٢١ - ٩٢٢ م»، للعالم الروسي كوفالفسكي والذي نشر عام ١٩٥٦ م في خاركوف، أهم أثر تحقيقي حول كتاب ابن فضلان. وقد ضم ترجمة وتفسيراً وتعليقات حول الكتاب، ويتألف من 348 صفحة مرفقة بصور من مخطوطة الكتاب.

- المصادر: ابن الأثير الكامل ابن بطوطة، محمد، رحلة، بيروت، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م ابن حوقل، محمد، صورة الأرض، نه غرامرس، ليدن، ١٩٣٩ م ابن رسته، أحمد. الأعلای النفيسة البدن، ١٨٩١ م ابن المعلمي، محمد المخري، بيروت،

1966, vol XCVI; Umnyakov, I I, Annoti-rovannaya bibliografiya trudov Akademika V. V Bartolda, Moscow, 1976 عنايةت الله رضات

- ابن فضل الله العمري، ظ: فضل الله .

5. «معجم المؤلفين»⁽⁵⁾

أحمد بن فضلان (كان حياً 309هـ-921م)

- أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد. من سفراء الدولة. له رحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة، المعروفة برسالة ابن فضلان. - (ط) سامي الدهان: مقدّمة رسالة ابن فضلان، الزركلي: 196-195/1.

6. «الموسوعة العربية الميسرة»⁽⁶⁾

ابن فضلان:

أحمد بن فضلان بن العباس، كان مولى أحد الخلفاء العباسيين وللقائد محمد بن سليمان الذي أفلح في القضاء على الدولة الطولونية، أرسله الخليفة العباسي المقتدر بالله في بعثة إلى ملك البلغار الشرقيين (309هـ/921م) بعد أن أسلم الملك وكتب إلى الخليفة يسأله أن يبعث إليه من يفقه في الدين ويعرفه شرائع الإسلام. وكان ابن فضلان الخبير الديني في هذه السفارة التي كان على رأسها مندوب الخليفة لبحث الأمور السياسية والحربية. ترك ابن فضلان صورة واضحة للبلغار وحضارتهم، وتعتبر رحلته من أقدم ما وصل إلينا عن بلاد روسيا.

(5) "معجم المؤلفين، تراجم مصنّفي الكتب العربية"، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، 1993: 1/220. الترجمة رقم 1119.

(6) "الموسوعة العربية الميسرة"، تأليف: مجموعة من العلماء والباحثين، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ط 1، 2010: 1/43.

1400 هـ / 1980 م، أحمد. «ماشاهده في بلد الترك والحرر والروس والصقالبة والباشفيرة و أعتربهم...»، مجموع في الجغرافيا، ته فؤاد سزكين، فرانكفورت، 1987 م من «كتاب أحمد بن فضلان.» (ط ماكوف الفسكي)؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، به دوسلان، بارس 1840 م؛ الدهان، سامي، مقدمة وحواش رسالة ابن فضلان، دمشق، 1378 هـ داري أمن أحمد، هلت إعليم، نه جواد فاضل، طهران، 1340 ش، سشوده، منوچهر، مقدمه وحواش على عجائب المخلفات (ظ هم الطرسي) الطبري، تاريخ الطوسي، محمد عجائب المخلوقات نه منوچهر ستوده، طهران، 1345 ش طوغان، ركي ولبيدي «سحة خلى كتاب اين ففیه در مشهد»، إيرانشهر، 1305 شي القرطبي، عريب، حلة تاريخ الطبري، القاهرة، 1968 م؛ الكرديري، عبد الحي، زين الأخبار، به طهران، 1347 ش؛ المسعودي، على. مروج الذهب، نق يوسف أسعد داغر، بيروت. 1385 هـ، با قوت، البلدان، وأيضا: - Artamonov, M.1, Istoriya Khazar, Leningrad, 1962; Bartold, V.V., Arabskie izvestiya o Rusakhs, Sochineniya, Moscow, 1968, Frachn, C.M., Ibn-Fozsylan's und anderer araber Bericht über die Russen älterer Zeit, Hamburg, 1823; Krachkovskii, I Yu, Arabskaya geograficheskaya literatura, Iebrannye sochineniya, Moscow/ Leningrad, 1957, id, Ocherki po istorii russkoi Arabistikis, ibid, 1958, Kovalevskii, A. P, Kniga Akhmeda ibn Fadlana o ego puteshestvil na Volga v 921-922 cg, Kharkov, 1D5t; Letrange, G., The land of the Eastern Caliphate, London, 1966: Ritter, Helmut, Zum Text von Ibn Fadlan's Reiseberichts, ZDMG,